المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهتم مطالعتهُ من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعًا لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل

ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان

(تابع)

مبدأ الاحسان

ولا ريب ان المسيحية قد اقتبست من اليهودية قسمًا مهمًا من هذه الانشاءات العظيمة . فان كل طائفة من الطوائف اليهودية التي كانت متفرقة على شواطىء البحر المتوسط كانت عبارة عن كنيسة وفيها صندوق لمساعدة محتاجيها . ذلك ان الاحسان (الزكاة) كان قاعدة من القواعد اليهودية وقد اوصى به جميع حكمائهم . وكان يؤتى في الهيكل في اورشليم وفي المعابد في الاقاليم . وكان بمنزلة اول واجبات المؤمن . ولقد امتازت اليهودية في كل الازمنة بعنايتها بفقرائها عناية اخوية

وعلى ذلك فمن الظلم اعتبار المسيحية بمثابة توبيخ لليهودية لان كل ما كان في المسيحية الاصلية وارد على الاجمال من اليهودية . فاذا ادهشنا الاحسان المسيحي فانه يدهشنا بالنظر الى العالم الروماني لا الى العالم اليهودي . فان الهيئات الاجتماعية العالمية التي تقوم على قواعد العقل لا يمكن ان تنتج نتائج بديعه كتلك النتائج . ذلك ان شريعة كل هيئة كهذه الهيئة تكون مبنية على الحرية واحيانًا على المساواة لا على الاخاء . اما الاحسان فمن حيث الحقوق لا يمكن ان يكون الزاميًا لانه امر مختص بالافراد فقط . وكثيرون يرون فيهِ ما يوجب النفور منه فينفرون . هذا فضلاً عن ان انفاق الاموال العمومية على اصلاح حال الشعب هو عبارة عن عمل اشتراكي . وبناءً على ذلك لا تصنع السياسة شيئًا اذا راًت رجلاً

يموت او كانت طبقات عديدة من الشعب تضعف وتنحط . وانما نقتصر على الاستياء من ذلك فقط . وهي بذلك تدل على انه ليس من نظام مدني وسياسي الا مع الحرية . ولكن ما هي نتيجة هذه الحرية؟ نتيجتها ان الذي لا يملك شيئًا ولا يقدر ان يربح شيئًا يموت جوعًا . وهذا امر فانوني . ولكن مما لا بدَّ من التصريح به ان الفساد القانوني لا يقف في وجه طبيعة الاشياء . فان حاجات الطبقة التي هي اوفر الطبقات عددًا لا بد ان تقوى على غيرها . وحينئذ لا تعود الشرائع السياسية والمدنية كافية

الشرائع الاجتماعية والشرائع السياسية

فمن مجد الشعب اليهودي وفخره انه فهم هذا المبدأ واعلنه في الارض فكان به القضاء على الدول القديمة . وهذا المبدأ قد رسخ في الارض فلا يزول منها بعد الآن . ومما ساعد على ترسيخه ان شريعة اليهود كانت شريعة اجتماعية لا سياسية وانبياؤها دعاة اصلاحات اجتماعية لا اصلاحات سياسية . فان اليهود في النصف الاول من القرن الاول للميلاد لما وجدوا انفسهم بازاء الحقوق الرومانية وتمدنها الغريب كان لا همَّ لهم الا نبذ تلك الحقوق الكافرة الشاذة التي تساوي بين الجميع والنداء بان حقوقهم التيوقراتية خير الحقوق اذ هي وحدها تنشيء هيئة اجتماعية دينية ادبية . وكانت فكرتهم الكبرى ان « الشريعة » اليهودية هي التي تجعل الناس سعداء وقد صرّح بهذا كثيرون من حكمائهم منهم فيلون ويوسيفوس . اما شرائع الغير فانها تسهر فقط على اقامة العدل ولا تهمها سعادة الناس . فكأنَّ المسيحية عبارة عن ثمة لهذه الفكرة . فان كل كنيسة فيها دير كبير لكل واحد من اهله ما للآخر فلا فقر ولا خبث وكل ما كان موجودًا فهو للكل والكل يراقبون الكل ويأمرون الكل . واذا رمنا تعريف المسيحية الاصلية امكننا ان نعرّفها بانها جمعية كبيرة للفقراء او حملة شديدة على الاثرة مبنية على ان كل واحد لا يجب ان يكون له شيء فوق حاجته لان الفضول تُعطى لمن لا يملك شيئًا . ومن هنا يظهر ما بين هذه الروح والروح الروماني من الاختلاف الذي يتنازعان بسببه نزاعًا للموت . ومن جهة اخرى لا تتمكن المسيحية من التسلط على العالم بعد ذلك الا بتغيير شيء من روحها هذه

نبوءته عن الاشتراك والانتظام

ولكن اذا كانت قد اضطرت الى تغيير شيء من هذه الروح فان حاجات هذه الروح ابدية لا تفنى . نعم ان هذه الروح قد تشوّهت قليلاً بما طرأ عليها في العصور الوسطى

ولكن العصور الحديثة قد ظلمتها بحملتها عليها حملة شديدة . فكأننا نسينا ان الانسان لم يذق اعظم الافراح الا في حالة الاجتماع . وتنازلنا لغيرنا عن هذا النشيد « ما احلى ان يسكن الاخوة معاً » . ولكن لما يثمر الاستفراد العصري ثماره الاخيرة . لما تصبح الانسانية صغيرة حزينة عاجزة بعد تجربتها هذه . لما يقوم اقسام الانسانية الاقوياء الطالبون للكمال والملتمسون اسمى مبادئه ويطردون بالسياط رجال مبادئنا الحاضرة — فيومئذٍ تعود الانسانية الى المجتمعات العظيمة والانتظامات القوية . يومئذٍ تُنظَّم شؤون كثير من الامور العظمى (والعلم في جملتها) على نظام الاديرة ويتوارثها اصحاب هذه الشؤون ارثاً لا دخل فيه للحم والدم . يومئذ تنقص الاهمية التي للعائلة في هذا الزمان . فان الاثرة التي هي شريعة اساسية للهيئة الاجتماعية المدنية لا تكفي النفوس الكبيرة . وكل هذه النفوس تُسرع من الجهات المتضادة وتتعاون على مقاومة مبادىء الشراهة الواطئة . ويومئذ يفهم الناس كلام يسوع حق فهمه ويفقهون افكار العصور الوسطى . انهم يفقهون حينئذ ما كان يعتقده اهل هذه العصور من ان الانسان اذا ملك شيئاً كان ملكه هذا نقيصة ويعرفون السبب الذي من اجله تنازع مؤسسو الاديرة قروناً طويلة ليعلموا هل ان يسوع ملك في حياته الاشياء الاعتيادية . وعلى ذلك تصبح هذه الامور الفرنسيسكانية الصغيرة مسائل اجتماعية عظيمة . ويُكتب يومئذ على باب فردوس الانسانية مبدأ الكمال الذي تنبأ به كاتب « اعمال الرسل » وهو قوله « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن احد يقول ان شيئاً من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ولذلك لم يكن فيهم احد محتاجاً . لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون باثمانها ويضعونها عند اقدام الرسل . فكان يُوزَّع على كل واحد منهم بقدر حاجته . وفي كل يوم كانوا يكسرون الخبز معاً بسلام وفرح وبساطة قلب »

المسيحية خارج اورشليم

ولكن لا نعجلن للوصول الى هذا الوقت فاننا الآن في السنة ٣٦ بعد الميلاد تقريباً . وكان طيبار يوس قيصر مقيماً يومئذٍ في كبري وهو لا يدري بالخطر الكامن للامبراطورية الرومانية والذي كان يكبر شيئاً فشيئاً . فان الطائفة المسيحية نمت في سنتين او ثلاث نمواً غريباً حتى صار قومها عدة الوف . وكان اليونانيون قد تكاثروا جداً حول الرسل حتى صار غالباً على الظن ان الوظيفة الاولى ستكون لهم . ولم يكن قد دخل يومئذٍ في الطائفة احد من الوثنيين اي الذين لا علاقة لهم بديانة اليهود ولكن في مقابلة ذلك دخل فيها

كثيرون من المستعمرات اليهودية التي كانت قائمة على شواطئ البحر المتوسط كقبرس وانطاكية وسيرينيا. اما مصر فلم يدخل منها احد في ذلك الوقت . وقد بقيت خارج الطائفة مدة طويلة ايضاً . ذلك انه كان بين يهود مصر ويهود فلسطين شيء من الخلاف في المعتقدات . فكان يهود مصر يعيشون مستقلين عن اخوانهم يهود فلسطين دون ان يصلهم صدى الحركات الدينية التي كانت تختلج في نفوس هؤلاء

الفكر لا يُحارَب بالقوة

وقد كان مما لا بدّ منه ان وعظ رجال هذه الطائفة ينبّه غضب الذين حكموا على يسوع بالموت . وكانت اسرة حنانيا الصدوقية لا تزال قابضة على زمام الرئاسة فكان يسوع رجالها وانصارها ان يروا اولئك التلامذة والرسل السذج الذين لا وظيفة رسمية لهم يكتسبون اميال الشعب اكثر منهم . فقبضوا على بطرس ويوحنا وغيرهما وسجنوهم وجلدوهم . وكان الجلد عقاباً للكافرين بالدين . ولم يكونوا يحتاجون الى اذن من الرومانيين لانفاذ هذا العقاب . على ان هذه الخشونة لم تكن الا لتزيد الرسل اصراراً في اعتقادهم . وقد قاموا من الجلد وخرجوا وهم مسرورون لانهم تعذبوا من اجل سيدهم . فما اجهل اولئك الذين يعتقدون ان الفكر يُحارَب بالقوة

على ان هذه الخشونة والشدة كانت صادرة عن الصدوقيين فقط . اما الفريسيون فقد برد غضبهم . وسبب ذلك ان الفريسيين انما كانوا مغتاظين من عظمة نفس يسوع ومن سهام التهكم التي كان يرشقهم بها . واما الرسل فقد كانوا اناساً اتقياء لا عظمة في نفوسهم ولا تهكم في كلامهم . واحياناً كان الفريسيون يميلون اليهم . وبعضهم صار منهم ودخل في مذهبهم

استشهاد اسطفانوس

وكان بين الشمامسة شماس شديد الغيرة والحماسة يُدعى اسطفانوس . فهذا الشماس اثار غضباً عظيماً بسبب وعظه . فان الشعب على ما يظهر كان يُقبل عليه لسماع تعاليمه وكان ينشأ بسبب ذلك خصام شديد بين الحاضرين . وكان يعظ بحماسة مثبتاً ان يسوع هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود وان الكهنة جنوا جناية عظيمة بحكمهم عليه بالموت وان اليهود قوم ينكرون الامور الظاهرة كل الظهور وهم عصاة ابناء عصاة . فلما سمع الرؤساء بهذه الاقوال عزموا على اهلاك هذا الواعظ الشديد . فوضعوا له اناساً يسمعون كلامه ليلتقطوا

منه شيئاً ضد موسى . ولما عثروا على ذلك قبضوا على اسطفانوس وجاءوا به الى المجمع . وكانت التهمة التي اتهموه بها شبيهة بالتهمة التي اتهم بها يسوع . فانهم قالوا انه يزعم انّ يسوع الناصري قادر على ان يهدم الهيكل ويغير ناموس موسى . فدافع اسطفانوس عن نفسه دفاعاً طويلاً مستشهداً بالناموس والزبور والانبياء وختم دفاعه بشكوى المجمع لانه حكم على يسوع بالموت فقال « يا قساة الرقاب . وغير المختونين بالقلوب والآذان . انتم دائماً تقاومون الروح القدس . كما كان اباؤكم كذلك انتم . اي الانبياء لم يضطهده اباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فانباءوا بمجيء البار الذي انتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . لقد اخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (١) وعند هذه الكلمة صاح به الحاضرون بغضب فتحمس اسطفانوس اشد تحمس حتى كادت نفسه تطير شعاعا فشخص الى السماء فنظرت عيناه منظراً قال فيه « ها انا انظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله » فوضع حينئذٍ كل الحاضرين اصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا هذا الكلام ثم هجموا عليه وهم يحرقون الارم . فجروه الى خارج المدينة ورجموه بالحجارة . وكان في العادة ان الشهود يبدأون بالرجم فخلع الشهود ثيابهم ووضعوها عند قدمي شاب شديد التعصب يُدعى شاول او بولس (١) . وكان هذا الشاب قد وقف هنالك ليشترك في الرجم وهو مسرور لمشاركته في اهلاك رجل مجدف على الشريعة

الاستشهاد بين التساهل والتعصب

فلما رُجم اسطفانوس احدث قتله حزناً عظيماً في الطائفة فاحتفلت بدفنه وقد شاركها اليهود اليونانيون في هذا الاحتفال لانهم كانوا اقل تعصباً من اليهود العبرانيين . وبهذا المقتل انفتح سبيل الشهداء في الديانة المسيحية . وقد ادخل هذا المبدأ ــ مبدأ الاستشهاد في سبيل الايمان ــ مبدأً جديداً في الغرب كان في حاجة اليه . فانه كان بمثابة النداء ان الايمان قوة لا تعادلها قوة في الارض وان الدين واحد في العالم . غير اننا اذا نظرنا الى هذه المسألة من هذا الوجه وجدنا ان الاستشهاد بهذا المعنى انما هو بمثابة فتح سبيل التعصب . اذ في الامكان ان نقول ان الذي يبذل حياته من اجل ايمانه متى كان مغلوباً يكون غير

---

(١) قوله ترتيب ملائكة لاعتقادهم ان موسى اخذ شريعته على جبل سيناء من ملاك لا من العزة الالهية نفسها . وهذا موضع خلاف بينهم

(١) هو الذي صار بعد ذلك اشهر معلمي الكنيسة واعظم رسلها

متساهل متى صار غالباً . وكذلك كانت حالة الكنيسة . فانها اجتازت ثلاثة قرون والناس يضطهدونها حتى اذا ما تغلبت وانتصرت قامت تضطهد اضطهاداً عظيماً . ذلك ان الانسان اذا اراق دمه من اجل شيء نفيس فانه يميل بحكم الطبع الى اراقة دم غيره حفظاً لذلك الشيء النفيس الذي عانى في سبيله ما عانى متى رآه مهدَّداً

مصدر الآداب فلسفياً

لحضرة الكاتب الفاضل صموئيل افندي بني

الآداب روح المجتمع الانساني صحبت الانسان منذ وجودهِ الاوَّل وارتقت بارتقائهِ في سلم الحضارة والعمران . وهي التي علَّمتها الاديان واوجبتها على الناس لانها سنَّة قدسية هبطت من السماء وهي التي تراءت للشارعين فسنوها وتجلَّت للشعراء فهاموا بوصفها ذلك قبل ان اتجهت صوبها اقلام الحكماء وقبل ان دخلت دائرة البحث الفلسفي

واذا التفتنا الى التاريخ انبأنا انه مرَّت على الآداب ثلاثة ادوارٍ اكتسبت في خلالها من المبادىء السامية ما زاد في جلالها جلالاً وفي بهآء انوارها كمالاً . فالدور الاول من ادوارها الثلاثة سموه « الدور الرواقي » وهو مذهب فلسفي نشأ في القرن الرابع قبل المسيح في بلاد اليونان ومنها انتقل الى رومة عقيب فتح اغريقية فتهافت عليه اساطين علمائها سيما نوابغ الشارعين منها فبثوا من آدابهِ الشيءَ الكثير فيما سنُّوا من القوانين وشرعوا من الاحكام . ثمَّ جآء الدور الثاني دور المسيحية التي افاضت على الانسانية مبادىء حب الله والقريب . والدور الثالث القرن التاسع عشر وهو الذي كشف اللثام عن وجه الحرية على تعدُّد انواعها من دينية وسياسية وتجارية وصناعية ومدنية بحيث عُرف الحق والواجب بمعناه وشعر الانسان بانه انسان .

ومنذ دخلت الآداب دائرة البحث الفلسفي اخذ الفلاسفة يبحثون في اصلها ومبدئها ويذهبون في ذلك مذاهب شتى . على انها ترجع في اختلافها الى ثلاثة مصادر اساسية تتفرع عنها مذاهب كثيرة . وتلك المصادر هي « العقل » و« الحس » و« العواطف » ونحن نذكر للقراء الالباء ما ارتآهُ اساطين الفلسفة في هذه المصادر الثلاثة على قدر ما نستطيع من الايجاز المطلوب في مثل هذا المقام

العقل

خُلق الانسان حرًّا لا يأتي عملاً عن غير قصدٍ وروية يؤيد هذا الكلام ويشهد بحقيقته الحس الباطن كما يشهد الحس الظاهر بالمحسوسات . وليس ثمت من قوةٍ على الارض تستطيع نزع تلك الخاصة المميزة للنوع الانساني التي بدونها لا وجود للآداب . اذ كيف نفرض على الانسان الواجبات او نلقي عليه تبعة اعمالهِ وهو ملزم فيما يبديه لا يفعل الاَّ مضطرًّا . وبدونها فالخير والشرّ والعدالة والظلم والفضيلة والرذيلة اسماء لا مسميات لها . ولا كان للعدالة ان تأخذ على يدِ الجاني ولا للقوم ان يكرموا فاضلاً لانه ما اجترم الذنب ولا اوتيت الفضيلة اختيارًا

ولا اخال هذه القضية تحتاج الى برهان فقد عرفها البشر واعتقدوها منذ اتيح لهم الاجتماع واستوى في معرفتها واعتقادها البرابرة على خشونتهم وشظف احوالهم والحضر على اعتلاء عمرانهم وسمو شأنهم . والا فلمَ وضعت المحاكم ؟ وسنت الشرائع ؟ وقامت مجالس الشورى ؟ ولمَ وجدت التضرعات والنصائح والتهديدات والمواعظ والاعتقاد العام بخلود النفس على اختلاف وجهاتها . أليس كل ذلك دليلاً قاطعًا على اعتقاد الامم بالحرية الادبية

واذا تقرر ذلك فاعلم ان الحرية في الانسان تجري على سنن ثابتة لا كما يظن البعض انها سائبة . اذ كل انسان سليم العقل لا يعمل عملاً الا عن قصدٍ وروية . وجملة القول ان الانسان يندفع الى الاعمال باسباب هي « الاهواء » و« المنفعة » و« الواجب »

الاهواء — واذا تأملنا الانسان في بدء كيانهِ قبل ان يستهدي بنور العقل نراه كثير الاميال وتلك الاميال تلعب به كما تلعب الرياح بفسائل النبات الهزيلة . الاَّ انه قد يعترض تلك الاميال من الموانع ما يحول دون مبتغاها فيحصل في النفس اثر ذلك حالة تسمى « انقباضًا » واذا لم يعترضها مانع وفازت بشهواتها حصلت في النفس حالة اخرى تُعرف بالانبساط او المسرة . وزد على ذلك انها تتوق الى كلما يساعدها على اميالها وتنفر من كلما يعاكسها في اهوائها فيتفرع عن ذلك سائر الاهواء من حب وبغض وخوف ورغبة

هذا اول مظاهر الانسان فانه ينشأ كما سبق الكلام العوبة بيد الاهواء تتصرف فيه على ما تشاء وليس ثمَّ لقوى الادراك من يدٍ فعالة فيه لتكبح جماحها بل الحكم للهوى الاقوى المتسلطن وقتئذٍ فيجذب الارادة اليه وتسير طبق مرامهِ ويستمر على هذه الوتيرة الى ان تبدو طلائع العقل فيه فينتبه من غفلته ويتطلع الى حاله فيجد امياله في منتهى قواها ويدرك من نفسه انها بجملتها تتجهُ نحو غاية واحدة أَلا وهي اشباع طبيعته الانسانية . الاَّ ان الملاحظة

والاختبار يرشدان عقلهُ الى انه يستحيل عليه اشباع طبيعته فيسعى الى آخر ما في الامكان من خيرها . ولا يقف العقل عند هذا الحد بل يدرك انه اذا لم يترك للقوى العاقلة سلطتها على الاهواء يتعذر على طبيعته الحصول على اعظم ما يمكن من خيرها وانه ما دامت قوى الادراك سائبة فالانسان عرضة لوسواس الاهواء فيخضع دائماً للهوى الاقوى المتسلطن حالياً عليه . فينجم عن هذه الحالة ضرران الاول ان لا شيءَ سريع التغير والانقلاب كالاهواء . فالهوى الذي يتسلط اليوم لا يلبث ان يتبدل غداً بهوى آخر بحيث يتعذر على القوى العاقلة ابان تسيّد الاهواء تتبع اعمالها . ولهذا لا تنتج شيئاً هاماً . والامر الثاني انهُ يحدث في اغلب الاحايين ان الخير الذي يحصل للانسان من اشباع اهوائه قد يصدر عنه شرٌّ كبير والشر الذي يحصل له من عدم اشباع اهوائه ينبعث عنه خير كبير . والخلاصة انه يدرك ان لا سبيل لحصول الخير الا باتخاذ العقل نبراساً يُستضاءُ به في سائر اعمال الحياة المنفعة — بهذه الامور ينتقل الانسان الى الدور الثاني اي الى النظر في المنفعة وحسبانها حيث تمتاز المنفعة بالحسبان والتعقل عن الاهواء التي تسير ولا يد لقوى الادراك فيها

الواجب — اما الدور الثالث فهو دور الواجب او الخير وقد ضرب احد الكتبة البارعين مثلاً ليقرّبه من الافهام فقال : اني أُودعت سرًّا خطيراً من رجل ابغضهُ شديداً فاذا افشيتهُ يُقضى عليه فافوز بالمنافع الكثيرة . وكل ما حولي يهيئُ لي سبيل الافشاء ويدفعني الى نكث عهده . ولا تبعة عليَّ في ذلك ولا مجال لتوقع الضرر في الحال والمآل . فما الذي يصدني عن الافشاء ياترى ؟ ان في النفس قوة تحارب تلك النزعات وعقلاً يعترضني ويأمرني بكتم السرّ لانه شيء مقدس ويوحي اليَّ بان خيانة العهد جرم وحطة . فلمَ يجب بقائي امينًا على عهده ؟ أمجاراةً لعواطف طبيعتي الحساسة وقد حاربتها البواعث المعاكسة ؟ ام في الكتمان منفعتي مع ان في خيانة عهده المنافع الكثيرة . فبعد هذا اذا كتمت السرّ اكون كتمته لا رغبة في خيري الخاص انما لانه خير صرف . فارتفع بذلك من تصور خيري الذاتي الى تصور الخير لذاته . الى تصور الخير العام . الى تصور الخير المطلق

ولا ريب ان العقل يدرك مبدأ الخير ويتوق اليه بكليته لا بل يخشى امامه تعظيماً واجلالاً ويعرف انه مقدس واجب فيسديه احترام المحكوم لحاكمه ويتخذه شريعة سامية ابدية . وهو ولا غروَ طبيعي فيه ثابت وانكاره مكابرة ولئن تعذّر ادراك كنهه وتباعدت اقوال العلماء في تعريفه فلا يوجب ذلك امتناع وجوده فقد قصرَّ العلماء عن ادراك كنه الحياة وتباعدوا في تحديدها ومع ذلك لا يختلف في وجودها اثنان

او ما ترى الناس في كل مكان وزمان يفاخرون بفضائل الفضلاء ويتحدثون عن مبرات الاكارم . او ما تراهم يشمئزون من قبح اعمال زيد ويقرفون بكرًا لرذيلةٍ ارتكبها . فما هي تلك القوة المودعة في نفس الانسان التي بها يحكم على حسن اعمال الناس او قبحها والتي توجب عليه اتباع سنن الآداب والفضيلة . ان هي الا قوة بديهية في نفسه روحانية صرفًا لا مستخرجة من مدركات الحس ولا حاصلة فيه من عوامل التربية ولا من نتاج الاحكام . انما التربية تزيدها نموًا والاحكام تذب عن حماها لتصون المجتمع الانساني من الاضرار والشرور

ولا ريب بان مبداء الخير موجود في كل انسان وليس في وسع الوسائل البشرية ايجاده او ملاشاته تمامًا لكن احوال التربية والبئة يؤثران في شأنه كثيرا . ذلك ما حمل البعض على القول بان الضمير او مبدأ الخير من نتاج التربية . على اننا لا ننكر ان للتربية يدًا في انماء تلك القوة واذكائها لكن لا قوة لها على تغيير طبيعة الانسان . وبالجملة ان شأن هذه القوى كشان سائر قوى الادراك عرضةً للخمول والضعف وقابلة للازدهاء والنمو تبعًا للاحوال

على ان مبدأ الخير وما يفرضه من الواجب يولد فينا حالة تمتاز عما تولده الاهواء والمنفعة وانه كما يحدث ان الاهواء والمنفعة تدفعنا الى عمل واحد هكذا يحدث ايضًا ان تدفعنا المنفعة والبواعث الادبية الى سبيل واحد . الاَّ انه لا بد لها مع ذلك الاتفاق من شيءٍ يميزها . ذلك بان مبدأ الخير توجب وتكون عامة وتلك تنصح وتكون خاصة . وان الفرق يزداد وضوحًا في الحوادث التي تليها . مثال ذلك اذا عمل الانسان خيرًا بملء ارادته غير متبع مسرة عواطفه فاننا نحكم ان هذا الرجل لجدير بالاعتبار والمكافأة . وعكس ذلك ان ارتكب الشر فاننا نحكم عليه بالاحتقار . ولهذا يكون الحكم بالاستحقاق وعدمه نتيجة لازمة للاعمال الانسانية التي مصدرها صورة الخير وهي لا تتبع الاعمال التي تصدر عن المنفعة والاهواء . واذا سعى الانسان وراء منفعةٍ وامتنع عليه الفوز بها فلا يخزه ضمير على خسرانها بيد انه اذا قعد عن الخير وتهاون في الحصول عليه ففيه ضمير يخزه وخزًا شديدًا

وجملة القول ان الحكم بالاستحقاق وعدمه يحصل لنا ضرورةً عقيب افعال المنفعة والاهواء فهو ووخز الضمير ملازمان ابدًا للافعال الادبية التي مصدرها مبدأ الخير ومميزان له عن سائر الافعال

﴿ الحس ﴾

يُقصد بالحس هنا ما يرجع الى رفاهه ومنفعته ويُراد بالمنفعة ان فريقًا من الفلاسفة

حسبوها مصدراً للآداب فانكروا على الانسان حريته الادبية رقالوا انه ملتزم فيما يأتيه من الاعمال غير مختار ولا هو ذو ارادة حرة . وليس هذا التنازع الفلسفي بحديث النشأة انما هو قديم العهد منذ ايام الرواقيين والابيقوريين وقد اتصل بطائفة اليهود فاحتدم لاجله نار الجدال ما بين الصدوقيين والفريسيين

على ان اشهر الفلاسفة الذين ينفون الحرية الادبية الفيلسوف هوبس وقد قال في ذلك بما معناه : اذا كان الانسان لدى شيء من الاشياء تتنازع نفسه حالتان هما الرغبة فيه والرغبة عنه . وهذا التنازع يسمى « مشورة » حتى اذا انتهى التنازع بانتصار احدى الحالتين فيسمى الانتصار « ارادة » واذا كانت الارادة « قادرة » على انفاذ رغائبها وانفذتها سميت هذه « القدرة » حرية . بحيث يكون تعريف الحرية : عدم وجود موانع تجاه الارادة . وعلى هذا التعريف تكون الحرية سواء للعاقل ولغيره . فما ينسب منها للانسان يجوز نسبته للنهر ايضاً اذ كلاهما يفعلان اذا لم يجدا مانعاً يمنع هذا الفعل

وقال بختر في كتابه القوة والمادة : ان الانسان وقواه العقلية والطبيعية هما ثمرة الطبيعة ونتاجها . ومما لا ريب فيه انها (اي الطبيعة) ليست فقط مصدر وجوده ولكنها ايضاً مصدر اعماله وارادته وعواطفه وافكاره . ثم عدد المؤثرات التي تفعل في الانسان وتكيف اخلاقه وشؤونه . فذكر منها الاستعداد الطبيعي والعقل والاميال والاخلاق التي تنتقل بالارث عن الآباء والاجداد والبيئة وهي الوسط الذي يعيش فيه والتعليم والتربية والقدوة والعوائد والاحوال السياسية والاجتماعية والاقليم والبلد الى غير ذلك من الاحوال العامة . ثم عطف الى بيان الاحوال الخاصة كالصحة والتغذية والغنى والفقر والتعاسة والسعادة وقال ان كل تلك الاحوال عامها وخاصها تؤثر في صفات الانسان شديداً بحيث لا تترك مكاناً فيه لحرية الارادة . ثم ايد كلامه بشواهد كثيرة منها لن القبائل النازلة جنوبي افريقيا تتباعد عن بعضها في الاخلاق والعوائد ومثلها القبائل الهندية الاميركية . وان ذلك التباعد حاصل من اختلاف الاقليم والبلد . وذكر مملكة الرومان في حالتيها الجمهورية والامبراطورية وافاض في الكلام عما كان من اختلاف اخلاق الشعب الروماني وتباينه في كل من الطورين تبعاً لاختلاف الاحوال السياسية والاجتماعية

وخلاصة اقوال الذين ينفون وجود الحرية الادبية ان الارادة تابعة للظروف والاحوال وان الانسان عبد للضرورة لا حر مختار

وهكذا اهل هذا المذهب ينفون بتاتاً وجود المبادىء الغريزية في الانسان ويقولون

ان كل مدركاته تحصل بواسطة الحس وما المبادىء الادبية الانتاج التربية . وقد قال فولتير في قاموسه الفلسفي : لا وجود للمبادىء الغريزية وليس من شيء فطري في الانسان ولكن الله خلق فينا اعضاء قابلة للنمو والشعور بكما يحتاج اليه حفظ النوع وان كل تصوراتنا حاصلة فينا من الاشياء التي تقع تحت الحس فاني لا الفظ ولا افهم كلمة اللاتناهي الا لاني قد رأيت من قبل شيئاً متناهياً . وزاد عليه بخنر قوله : كل من بحث في شؤون الامم العريقة في البداوة لا يرى اثراً للمبادىء الادبية فان بعض القبائل يرون من محكم التدبير ان يقتل الرجل اباه متى عجز عن العمل وصار شيخاً مقعداً بين ان هذا العمل تحسبه الامم المتمدنة من افظع الشرور واشد الجرائم هولاً . على ان زعماء هذا المذهب واساطينه المحنكين بعد ان انكروا على الانسان حريته الادبية ومبادئه الفطرية قالوا ان المنفعة هي مصدر الاعمال الادبية وان لا وجود للخير والشر مجردين بل هما نسبيان . وبعبارة اخرى ليس للافعال قيمة ادبية في ذاتها ولكن قيمتها تكون بالقياس الى نفعها او ضررها بحيث ان لاشيء منها بذاته خير او شر . فما كان من الافعال نافع ونفعه عائد على الجمهور فهو خير وما كان منها مضرٌّ وضرره يرجع الى الجمهور فهو شر

ولما كان الانسان مدنياً بالطبع ومدفوعاً بحكم الضرورة الى الاجتماع بغيره من ابناء نوعه وكان ذلك لا يأتي له الا بمراعاة ما نقوم به مصلحة الجمهور ومنفعتهم وانكار ما تتشوق اليه اهواؤه من ملذاتها واساءة غيرها — فُرض عليه ان يأخذ بما يعود بالنفع على ابناء نوعه ويبتعد عما يرجع بالضرر عليهم . فترتبت عليه الواجبات والحقوق بالتبادل ونشأت من ذلك المبادىء الادبية مبتدئة في العائلة ثم تدرجت الى القبيل والامة . على انه لا يمكن ان تقوم الآداب اولاً الا بطريقة التبادل كما سبق القول طبقاً لهذا المبداء الكريم: افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعل الناس بكم »

واذا تتبعنا اصحاب هذا المذهب في اقوالهم عرفنا الآداب بانها احترام حقوق الناس بالتبادل على السواء وتوطيد سعادة المجتمع . فكل ما يقلق او يهدم تلك السعادة وذاك الاحترام فهو شر وكلما يوطد السعادة والاحترام المتبادل فهو خير . فالشر اذاً في عرفهم الغلو في حب الذات (الاثرة) المبني على مضرة الآخرين . على ان حب الذات صفة بديهية في الانسان ضرورية لحفظ نوعه وهي ولا ريب اذا سارت سيرها الطبيعي ولم يتطرق اليها الغلو ووفقت بين منفعتها ومنفعة الجمهور صدرت عنها اسمى مبادىء الاداب واجملها . والخلاصة ان زعماء هذا المذهب اجمعوا اليوم على ان المنفعة العامة مصدر الادب

العواطف

ولقد قام بعد هوبس زعيم النفعيين هتشسون وشهر حرباً عوانًا على هاتيك الآراء وذهب الى ان البحث عن مصدر الآداب يجب ان يكون في العواطف وليس في العقل والحس. ثم جعل عواطف الانسان مبعث الفضائل والواجبات وشدّ ازره الحكيم جان جاك روسو فيما ارتآه حيث قال: ولد الانسان صالحاً نقياً وفيه عواطف فطرت على الخير تتجه اليه ان لم تصدها مفاسد المجتمع. واطلق على العواطف اسم الضمير. وزعم ان العقل يخدع الانسان اما الضمير فدليل النفس ومرشدها الى الحق والواجب ولا يخادعها في شيء

وما طال الامر حتى ظهر ادم سميث يدعم آراء استاذه هتشسون ببراعة في البيان سودته زعامة هذا المذهب ولئن ادخل فيه شيئاً من التبديل بان جعل مكان نزاهة العواطف الانجذاب القلبي والنفور. ويقصد بالانجذاب القلبي مشاركة الناس بعضهم بعضاً بالانفعالات والمؤثرات وبتعريف اعمّ مشاركة جميع الكائنات الحاسة بكل مؤثراتها. فانا اذا شهدنا رجلاً وقد بدت منه عواطف كثيرة واهواء متعددة لا نلبث ان نتوق لتحديه في هاتيك الشؤون. والعقل والارادة بمعزل عن الحكم على العواطف. مثال ذلك اذا رأينا اماً تضم الى صدرها طفلها الصغير وقد ظهرت على وجهها دلائل الحنان والرأفة فلا بدّ لنا من مشاركتها في عواطفها وشعورنا بوجود حالة فينا شبيهة بحالتها. وهكذا تكون حالتنا ايضاً مع غير العاقل. فاذا رأينا عصفوراً يغرد طرباً ويثب من غصن الى آخر تنشأ فينا على اثر ذلك حالة من المسرة شبيهة بحالة العصفور. وهذه الخاصية للطبيعة الانسانية تسمى انجذاباً قلبياً. وبعد ان اسهب سميث في تبيان الانجذاب وتعريفه بسرد الامثال قال ان هذا الانجذاب فينا قويٌّ لا يُغلب ومن شأنه ان يدفعنا الى مشاركة الغير في مسراتهم واحزانهم وسائر انفعالاتهم النفسانية وان سبب كل فعل ادبي عاطفة النفس وليس للعقل قيمة في ذاته الاّ بقدر ما يستفز العاطفة من الانجذاب اليه او النفور عنه. فان جذبنا اليه كان حسناً وان نفرنا عنه كان قبيحاً. وانك اذا رأيت فعلاً حسناً جُذبتَ اليه وفي نفسك عاطفة الشكر للفاعل والرغبة في خيره والحكم له بالاستحقاق ويعكس الامر معك اذا رايتَ فعلاً قبيحاً فانك تنفر منه وفي نفسك عاطفة الامتهان للفاعل والرغبة في الاقتصاص منه. هذا هو مبدأ الاستحقاق وعدمه

ثم افترض ان رجلاً ابعدَ الى جزيرة مقفرة وقضيَ عليه ان يكون منفرداً بنفسه هناك لا يساكن انساناً ولا يعاشر مخلوقاً فيعيش ولا مبدأ ولا صورة في ذهنه للخير والشرّ والعدل

والظلم حيث لا ايحاء للنفس باشباه هذه المبادىء والصور ما لم ترَ اعمال الغير . فاننا لا نستدل في حكمنا الادبي من انفسنا على غيرنا بل من غيرنا على انفسنا . واذا لم يكن قد اتيح لنا من قبل ان نشاهد ونرى اعمال الغير فلا يتأتى لنا معرفة قيم الاعمال ولا ان نحكم على انفسنا في شيء . ولذلك قيل بوجوب اتحاد عواطف الانسان بعواطف غيره وان يتخذ من الاعمال ما تجذب اليه عواطف الآخرين

هذه خلاصة من اقوال من يجعل العواطف سبباً للآداب الا ان مبدأ الخير ولا مراء هو النظام الابدي والشريعة السامية والمبدا الكلي والقانون المطلق وهو ولا سواه المصدر الوحيد للافعال الادبية التي يترتب عليها سعادة المجتمع ورفاهه والاساس الوطيد لكل الفضائل السامية والاعمال الاثيلة التي تتفاخر بها الانسانية على مدى الايام

قلنا ان مبدأ الخير مبعث الاعمال الادبية ولا خلاف في ذلك . ايجوز في حكم العقل ان نجعل المنفعة مصدراً للآداب ومن خصائصها التبدل والاختصاص فتتغير بتغير الاحوال وتتكيف بتكيف الشؤون ولا تعرف التعميم والشمول فما ينفع الواحد يضر الآخر على حد قول القائل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فالجندي الباسل يتوق الى الحرب ويتطلع الى شبوب نارها حيث في ساحاتها الارتقاء السريع وبلوغ المراتب العالية بين ان التجار وارباب المهن يرون فيها الخسارة وكل الضرر . والاطباء يرومون كثرة المرضى لتدر عليهم الاموال وكذلك المحامون يسرهم خصام الناس وتنازعهم لينالوا الاصفر الرنان . وصاحب الملك تطيب نفسه لارتفاع قيم غلاته وآخرون يريدون هبوطها . فانىّ لنا بجمع هذه المنافع المتباينة الى مبدأ واحدٍ كلي شامل . وانىّ يجوز لنا حسبان المنفعة مصدراً للاعمال الادبية وشأنها كما رأيت التبدل والاختصاص وان لا تستقر على وتيرة واحدة حتى في الانسان ذاتهِ . فان ما يراه اليوم نافعاً له لا يلبث حتى يراه في الغد مضراً فيستحيل والحالة هذه صدور الاعمال الادبية عن غير مبدأ كلي ثابت . وما احسن ما قاله في هذا الصدد الفيلسوف جول سيمون في كتاب الواجبات قال ما معناه « لا تكون الحياة شيئاً اذا لم تكن ذات نظام ولا نظام اذا لم يكن مستمراً ونحن احرار وذلك يكفي ان الله لم يمنحنا الدفة من غير ان يضيء لنا نجماً . ومهما يكن من امر ذلك النظام فهو واحد لا يتغير في مجرى الحياة ولا يكون في انسان خلاف ما هو في الآخر . وهو واحد ايضاً في كل مكان وزمان وفي منعةٍ عن ان تمسه عواصف الاهواء

وعوضاً عن ان يكون وقتياً متقلقلاً فهو مستحكم راسخ ابدي »

على ان بين مبداء الخير والمنفعة تفاوتاً بيّناً وفارقاً كبيراً وهذا التباين بينهما عرفه البشر يوم خرجوا من البداوة ونزلوا مرابع الحضارة . وحسبنا على ذلك دليلاً انهم منذ بدأوا يكتبون تواريخهم جعلوا يدونون فيها كل ما طرأ على مجتمعاتهم من الحوادث والشؤون وكل ما جال في اذهانهم من الخواطر والافكار . وانك اذا تصفحتها وجدتها ملآى بهذه الكلمات : الواجبات . الحق . العدل . المحبة . الرحمة . واشباهها من كل ما ينطوي تحت مبداء الخير ويدخل في دائرته فضلاً عن ان هذه الكلمات موجودة في جميع لغات العالم حديثها وقديمها بذات المعنى المراد منها اليوم كما انه يوجد ايضاً فيها كلمات بمعنى المنفعة . والاثرة . والاهواء . الاّ انهم لم ينزلوها منزلة الكلمات الاولى من التجلة والاعتبار وانما وضعوها في ذات الرتبة التي نضعها فيها اليوم وميزوها عن بعضها كما نميزها نحن تماماً . ولو لم يكن هذا الفارق موجوداً عندهم لاستحال على الاثينيين ان يفهموا كلام ارستيذس يوم خاطبهم قائلاً : ايها الاثينيون ثيموستكل ينصحكم ونصيحته تنطبق على منفعتكم لكنها تضاد العدل

واذا استنطقنا التاريخ قصّ علينا ان عدداً كثيراً من الرجال الافاضل بلغوا المكانة العليا من اكرام مواطنيهم والسدة الشماء من اعتبار قومهم لا لشرف منبتهم وواسع ثروتهم وبسطة جاههم لكن لآداب باذخة وفضائل سامية . وكم في محفوظ التاريخ من نباءٍ عن رجال الانسانية الذين لم تأخذهم في جانب الواجب منفعة ولم يشغلهم عنه هوىً بل افتدوا الواجب بدمٍ كريم لا يباع ولا يُشترى . هاك سقراط يوم حكم عليه المجلس الاثيني بالقتل فانه رضي بالموت في سبيل الحق عن ان يخون ضميره فشرب السم الزعاف وراح شهيد الادب البحت . سلني عن شهداء المسيحية وما فعل بهم نيرون صاحب رومة وسواه من الظلمة العتاة وكيف سيقوا الى السجون ظلماً وعدواناً واخذوا بالسيف ودُفعوا لانياب الكواسر لتنهش اجسادهم وهم راضون يؤثرون العذاب على الجهر بغير ما يعتقدون . وكم رأينا من فئةٍ ترفعت الى مقام الحق الاعلى فلم ترَ غير الحق والواجب وتلك الفئة لم تخلُ منها امة من الامم ولا مرّ زمنٍ على مكانٍ من الارض لم يكن حافلاً بنفر كرام . وان كنتَ في ريب فسل التاريخ كم نشر في طياته عن الابطال الذين ذهبوا فداءً اما عن وطنهم او حريتهم او العدل او الرحمة او الصداقة او اشباه هذه المبادىء الجليلة

فلتقل لنا المنفعة ما هي تلك القوة العظيمة المودعة في هاتيك النفوس الطاهرة التي ذهبت ضحيةً على مذبح الحق والواجب ؟ ولتقل لنا ايضاً ما الذي جعل رجال الانسانية وابطالها

النبلاء في اعلى مكان من احترام الناس واعتبارهم وما الذي خلد ذكرهم في الالسنة مقرونًا بالاعجاب والتجلة على تراخي الاحقاب ومر الاجيال ؟ هنا نرى المنفعة قد تولاها العي وعراها الحصر ولبثت وستلبث صامتةً ليس فقط بازاء الوجدان الشخصي بل تجاه وجدان النوع الانساني المعلن في التاريخ

وما يُقال في المنفعة وبُعدها عن ان تكون مصدرًا للآداب يقال اكثر في العواطف لانها ابعد مسافة من محجة الصواب . على اننا لا نحتاج في دحضها للادلة الكثيرة لانه بمجرّد النظر في طبيعتها يتضح للباحث عدم اقتدارها لان تكون اساسًا للصواب والحق . ذلك لان من خصائص الاميال والاهواء التغير والاختلاف وانها اذا تُركت لذاتها قام التنازع بينها وصيرت الانسان في حالةٍ لا يستطيع معها الجزم في امرٍ . ومن صفاتها المميزة لها ان تكون شخصية وتابعة لاحوال الزمان والمكان والجنس والمزاج . فهل يصحّ في الافهام حسبان العواطف وهي على الشكل المذكور بديلاً من مبداء كلي مطلق راسخ

واغرب من ذلك ما ذهب اليه سميث في معرفة الخير والشرّ والاستحقاق وعدمه مما مرّ بنا الكلام عليه . فكل منا يعرف ان الانسان اذا اراد الحكم على فعلٍ ادبي بعدلٍ مقرون بالتدقيق وجب عليه ان يتنزه عن كل ميل ويتجرّد من كل عاطفةٍ حتى يصدر حكمه مطابقًا للعدل والصواب . فكيف يجوز والحالة هذه ان نتخذ عواطفنا حكمًا في الافعال ومميزًا بين صالحها وطالحها

هذه لمعة من آراء جهابذة الفلسفة في مصدر الآداب ذكرناها اختصارًا . على ان من تتبع الاسهاب في كلامهم وامعن النظر في ادلتهم الكثيرة يرى ان مذهب القائلين بمبداء الخير (او الضمير او الواجب) اقرب من غيره الى الصواب . والله اعلم

اقتراحات الجامعة

الاحلام وصدقها ـ المداهنة والمداراة

رأينا في كثيرين من القراء والادباء ميلاً الى الكتابة في الجامعة وقد كثرت لدينا رسائلهم في مواضيع مختلفة فكنا نضطر الى ان نضرب صفحاً عن نشرها لانه لا يمكننا ان ننشر في الجامعة الاَّ ما نرى وجوب نشره فيها . ولكنا رغبة في ارضاء محبي الكتابة وجدنا طريقة تحلُّ هذه المشكلة التي تكون في بعض الاحيان مشكلة حقيقية . وهي **ان تعين المجلة نفسها المواضيع التي تقبل الرسائل فيها بطريقة اقتراحات تقترحها**

وهناك امر آخر وهو ان بعض الادباء والقراء **يروقهم كثيراً باب الاسئلة والاجوبة** وقد طلبوا ذلك غير مرة . ووردنا في هذا الشهر اربع رسائل يطلب اصحابها فتح هذا الباب في الجامعة . فرأينا ان نجيبهم الى ذلك ايضاً . وسنعود الى فتح هذا الباب في الجزء القادم

اما اقتراحات هذا الجزء فهي ما اقترحناه في الجزء السابق بشأن « صدق الاحلام » « والمداراة والمداهنة في الاجتماع » وهما مبحثان اقرب الى الفكاهة منهما الى الفائدة . وقد وردتنا اجوبة عديدة ننشر بعضها

١

الاحلام وصدقها

حضرة الفاضل منشىء مجلة الجامعة

قرأت في باب الاخبار العلمية من العدد الاخير من الجامعة ما كتبتموه عن الاحلام وقد اقترحتم على قرائها ان يرسلوا اليكم كل ما يعرفونه عن صدق الاحلام . فها انا اورد للجامعة ما سمعته من امي عن بعض احلام رأتها وصدقت ولو اني لست من مشتركي الجامعة بل احد العشرة الذين يلتفون حول المشترك ليقرؤا الجزء . . قالت امي . انها لما كانت في سن الشباب كانت ترى الزائرين في الحلم قبل زيارتهم للمنزل فكانت تنظف البيت وترتبه استعداداً لهم وقد كانت احلامها دائماً تتحقق . منها انها حلمت مرة انها واقفة داخل حمام وبلاط الحمام حامٍ للغاية فاحترقت قدماها من حرارته ثم احست ان رأسها احترق ايضاً

وكان لهيب النار يخرج منه . فوضعت يدها على رأسها وصرخت لعدم استطاعتها احتمال هذه الحرارة . وقد استفسرت بعض العارفين بتفسير الاحلام فاخبرها بقرب وفاة زوجها . ولم تمضِ مدة حتى تحقق هذا الحلم . فكأن العناية الالهية قبل وقوع المصائب على بني البشر تخبرهم عنها بواسطة الاحلام حتى يستعدوا لها ويحتملوا جزءًا من المصاب قبل وقوعه والجزء الاخير عند وقوعه . ليت شعري هل ابخرة المعدة وتصورات الخيال تاتي باحلام كهذه الاحلام . اننا نعرف ان رأس المرأة هو رجلها وامي رأت رأسها يشتعل باللهيب الخارج منه واستدل المفسر من ذلك على قرب وفاة زوجها فصدق . او هل رؤية الزائرين قبل اتيانهم الى المنزل وتحقق ذلك في اليقظة تأتيه ابخرة المعدة وتصورات الخيال . ان ذلك اكبر دليل على صدق الاحلام وان تحت ذيلها علمًا واسعًا يحتاج الى البحث والتدقيق . ولعلنا نصل يومًا الى هذا العلم

اما اعتقادي في الاحلام فهو ان الله بحكمته الازلية قد وضع للبشر واسطة يعرّفهم بها ارادته سواءٌ كانت ارادته فعل شيءٍ او وقوع مصيبة . وهذه الواسطة هي الاحلام . ثم اذا سئلت وكيف نقدر نفسر هذه الاحلام لنعرف ارادته عزّ وجلّ فاجيب نفسرها بواسطة مقارنة الحلم مع الاحوال . مثال ذلك اذا حلم انسان انه وجد خاتمًا فيراقب الاحوال التي تحدث ويكتبها في مذكرة معه فربما تكون احدى هذه الاحوال حضوره عرسًا . ثم اذا حلم بالخاتم مرة ثانية وحضر عرسًا ايضًا فيتأكد ان رؤية الخاتم تنبيء بحدوث عرس . وبهذه الطريقة يمكننا تفسيرها . هذا واني لا اريد ان يفوت الجامعة معرفة ما كان يكسبني اعتقادي هذا من اللذة في بعض الاوقات فقد سبق وقلت انني اعتقد انها الواسطة لمعرفة ارادة الله . فاذًا بها يعرف الانسان اشياء عن مستقبله . فتراني في بعض الاوقات عند ذهابي الى الفراش والقاء رأسي على الوسادة اتلذذ كثيرًا ويمتلئ قلبي فرحًا لافتكاري باني ساحلم احلامًا تريني ارادة الله واشياء عن مستقبلي . هذا هو اعتقادي بالاحلام وهذه هي اللذة التي اكسبني اياها اعتقادي . واني اظن ان كل من يعتقد اعتقادي ينتظر ان يعمّ هذا الاعتقاد حتى يصير عالمنا الارضي اشد ارتباطًا بالعالم السماوي وبوجوده الاقدس بواسطة معرفة ارادته

الاسكندرية جبران صفره

حضرة الفاضل منشيء الجامعة الغراء

اقترحتم في العدد الماضي على القراء ان يرسلوا للجامعة كل ما يعرفونه من قبيل صدق

الاحلام « سواءٌ كانوا هم الذين رأوها ام كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم » وقد جال في خاطري ان ارسل للجامعة شيئًا من ذلك على سبيل الفكاهة فاقول

اخبرني صديق لي ذات يوم بينما كنا نتحدث في موضوع (صدق الاحلام وكذبها) قال : قالت لي امي في يوم ما . حلمت حلمًا لم ازل اردده في ضميري بخوف وارتياب وقصته عليَّ فقالت : رأيت على حائط البيت رفًا عاليًا قليلاً ثم نظرت فوجدت على الرف ثلاث بكرات من الخيط الابيض كل واحدة منهن اكبر من الاخرى فمددت يدي لاخذهن فمسكت البكرة الكبرى وكانت هي الاولى ثم مددت يدي ثانية فاخذت البكرة الوسطى وكانت تليها ثم تطاولت لاخذ البكرة الثالثة وكانت تليها فلم اتمكن من اخذها وقد حاولت مرارًا فلم اتمكن واخيرًا امسكت بطرف خيط البكرة وجعلت اسحبه قليلاً حتى انقطع ففزعت من ذلك وقمت من نومي مرعوبة استغفر الله . قال الصديق وكنا ثلاثة اخوة فلم يمض زمن قليل حتى مرض اخي الاصغر ومات . اقول ذلك وانا متأكد صدق الاحلام ان لم يكن كلها فبعضها وان لم يظهر صدقها في الحال ففي الاستقبال

طنطا راوٍ

حضرة الفاضل منشئ مجلة الجامعة

اقترحتم في العدد الاول من السنة الرابعة للجامعة البهية على حضرات قرائها الكرام ان يرسلوا اليها كل ما يعرفونه من قبيل صحة الاحلام سواء كانت حدثت لهم او لاحد اصدقائهم وقد حدا بي اقتراحكم هذا الى ان ابعث للجامعة بالحلم الآتي تفكهة . فاقول

حلمتُ في احدى الليالي ان احد اصحابي دعاني الى ليلة انس في منزله فلبيتُ الدعوة شاكرًا . ولما ذهبت الى منزله جلست مع الجالسين . ومن عادتي انني لا ادخل منزلاً الاَّ وارفع طربوشي عن رأسي واضعه امامي . وبعد ان استقرَّ بي المقام رفعتُ الطربوش ووضعته امامي ومكثت جالسًا الى انتهاء السهرة . وبعد ان خرج المدعوون نهضت على الاثر طالبًا للخروج . فصافحت الداعي بعد ان شكرته على دعوته اياي وذهبتُ تو احيث كنت جالسًا لاتناول طربوشي واذهب . ولكني لم اجد طربوشي . فصرت اخطر في منزل الداعي ذهابًا وايابًا فما كنت اهتدي اليه . وبعد ان اعياني التفتيش والانتظار معًا صحت في وجه صاحب المنزل : اين طربوشي . اريد طربوشي . فما شعرتُ الاَّ وابن اخي يقول لي : قم يا عماه . صارت الساعة الثامنة . فانتبهت من النوم مذعورًا وقلت له : اين الطربوش .

فاجابني ان اخي اخذه وتوجه الى المدرسة . وهنا لا اقدر ان اصف عظيم الدهشة التي اعترتني عندما سمعت هذه الكلمة

الاسكندرية توفيق

حضرة الفاضل منشىء الجامعة

لست ممن يصدقون الاحلام ولكنني مع ذلك تعروني الدهشة من بعضها وارى فيها رمزًا الى الحياة . وانا اروي حلمين من هذا القبيل واضمن صدق الرواية . من ذلك ان تاجرًا كان يشتغل بتجارة فابتاع شيئًا كثيرًا من البضائع وفي آخر يوم من الاستبضاع خطر له وهو على فراش النوم ان يعرف المبلغ الذي انفقه والقيمة التي بقيت معه . ولكنه كان نعسان فقال في نفسه انني اعمل هذا الحساب في الصباح . ففي الصباح انتبه من النوم وهو يفتكر انه بقي معه ٢٧ جنيهًا . ثم قوي فكره هذا فقام الى صندوقه وعدّ المال الباقي معه فوجده ٢٧ جنيهًا تمامًا

وقد قص هذا الحلم على احد اصدقائه فاجابه ان القوة العاقلة في دماغه احصت في الليل على غير علم منه قيمة المال الذي انفقه على شراء البضائع وطرحته من راسماله واستخرجت الباقي . فهذا اذًا حلمٌ معقول طبيعي . وكثيرون من الرياضيين والعلماء يجدون في الرقاد حلّ المسائل والمشاكل التي ينامون وهم يفكّرون فيها . حتى ان بعضهم قد ينهض من فراشه ويكتب ذلك الحلّ ثم ينام . وفي الصباح ينهض دون ان يذكر شيئًا مما جرى لو لم يرَ الحلّ على مائدته

والحلم الثاني ان صديقًا خارج مصر في اثناء حدوث الهواء الاصفر فيها كتب اليه يقول له : نظرتك امس في الحلم مرشوقًا بسهم قوي فاصابك دون ان يضرك . فما تفسير هذا . وكان هذا الصديق المرشوق بالسهم قد اصابه في نفس ذلك اليوم تقريبًا اسهال شديد الزمه الفراش وخيف ان يتحول الى كوليرا ولم يذهب الا بدواء الكوليرا نفسه

وانني لست ممن يستحسنون الخوض في هذا البحث لانه يزيد اعتقاد الناس بصحة الاحلام وهذا امر يضرهم لانهم كثيرًا ما يعملون بموجبها فيكونون كأنهم يضعون زمام حياتهم في ايدي خيالات الليل . ولا ريب عندي ان هذا الامر غير مقصور على البسطاء بل هو يتناول جميع الناس من بعض الوجوه . مثال ذلك ان زيدًا صديق لبكر . ففي احدى الليالي يحلم ان بكرًا اوقع فيه اذية شديدة لا تدوم معها صداقة مهما كانت قوية وخالصة .

فينزعج زيد اشد انزعاج . وهو ينهض من النوم ويرى بكرًا صديقه ويعلم ان تلك الاذية لا وجود لها ومع ذلك كله يبقى في نفسه شيء من النفور من بكر . فكأن الصداقة القديمة قد خدشت من احد جوانبها . وهذا كله من اجل حلم . فلا ريب ان العلم اذا تمكن في المستقبل من جعل الانسان يحلم احلامًا محبّبة او احلامًا مكرّهة فانه يقبض بذلك على عواطف الانسان ويوجهها حينئذٍ حيث يريد . ولا يعود الحب والنفور امرين طبيعيين واضطراريين في بعض الاحيان بل يصيران امرين صناعيين

وبناءً على ذلك فقد تحوّلت الآن مسألة الاحلام عن وجهها . فلم يعد البحث في صدقها وصحتها فان هذا حديث خرافة ولكن صار البحث في تأثيرها على عواطف الانسان وهذا امر لا ينكره انسان الاسكندرية احد القراء

٢

المداهنة والمداراة

اما الاقتراح الثاني « المداهنة والتمليق والتزلف والمداراة » فنكتفي منه برسالتين اولاهما لحضرة الشاعر الناثر صاحب التوقيع وهذا نصها

« لا شيء ابغض الى نفس المرء واثقل على طبعه مهما كانت مرتبته من الضعة من اظهار غير ما يضمر واعلان نقيض ما يسر . فالتملق وما جرى مجراه ليس بالسهل على النفس الى حد ان تتصاغر معه امام الوجدان والحقيقة وتخالف باستشعاره ما رسخ فيها من اعتقاد وثبت من يقين . فالمتزلف على ما اصطلح القوم (او المتملق او المداهن) انما يأتي هذه النقائص مدفوعًا اليها بما يراه من تكلفها بجلب ما يسرّه من خير ودفع ما يسوءه من شرّ وضير . وقد تسامحوا في الكذب اذا انجى من مكروه وهو اشدّ آفات الفضيلة واعدى اعدائها وحسبك من تقبيح الكذب والحطّ من قدر الكاذب انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (أيكون المؤمن جبانًا قال نعم قيل أفيكون بخيلاً قال نعم قيل أفيكون كذابًا قال لا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان الكذب يهدي الى الفجور وان الرجل ليكذب — اي مرة بعد مرة — حتى يُكتب عند الله كذابًا)

وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يابني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وانما يدل على عيبه . ويتعرض للعقاب من ربه . فالآثام له عادة . والاخبار عنه متضادّة . ان قال حقًا لم يُصدّق . وان اراد خيرًا لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله . والدال على فضيحته بمقاله . فما صحّ من صدقه نُسب الى غيره . وما صحّ من كذب غيره نُسب اليه

تسامحوا في الكذب وهذا مكانه من الضعة ومحل المهانة اذا خيف ان يجرّ الصدق شرًّا او يجلب ضرًّا وهذا الراجز يقول

ورقّع الخرق بلطفٍ واجتهدْ وامكر اذا لم ينفع الصدق وكدْ

وانك لو قلت له كيف عميَ عليك وجه الصواب فوضعتَ المكر موضع الكذب وما هما من الاضداد لقال ما بي من خطاءٍ ولكني كرهت ذكر هذه النقيصة التي لا يستعذب ذكرها اللسان ولا يسيغ اسمها ذوق انسان . فيا عجبًا للناس يستعظمون القول ويستصغرون الفعل . واشد من هذا ما قاله بعد

الشهم من يُصلح امر نفسهِ ولو بقتل خله او عرسهِ
فانّ من يقصد قلع ضرسهِ لم يعتمد الاّ صلاح نفسهِ

ويا لله من ذلك الصلاح المعكوس . ماذا يجب ان يُقال عن هذا الراجز وقد وضع ارجوزته لتهذيب الاخلاق وتقويم الطباع . وظن انها من اكبر واشرف وسائل الاستفادة والانتفاع . مَن احق باللوم هو ام الحريري الذي اخذ عليه بعض كتّاب العصر قوله في احدى مقاماته

عشْ بالخداع فانتَ في دهرٍ بنوه كأُسد بيشه
وأَدِرْ قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه

واظن ذلك الآخذ او المؤاخذ لو وجد في المجال سعة لزاد في الحطّ من قدر صاحب المقامات بايراد قوله :

ياليتَ شعري أَدهري احاطَ علمًا بقدريه
وهل درى كنه غوري في الخدع ام ليس يدري
كمْ قد قمرت بنيهِ بحيلتي وبمكري
وكمْ برزت بعرفٍ عليهم وبنكرِ
اصطاد قومًا بوعظٍ وآخرين بشعرِ

الى ان يقول :

ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري
لخابَ قِدحي وقدحي ودامَ عسريه وخسري

لاي شيءٍ نلوم الحريري اذا قال اكثر من هذا وهو انما وضع مقاماته في قالب خيالي وفكاهي معًا ومثل هذا المقال انما جاء على لسان (بطل المقامات) المعروف الذي طالما عنفه

الحريري لتوخي هذا المسلك وانتهاج ذلك السبيل . أَمن الانصاف ان نذكر للحريري تلك المساوىء الخيالية ونغمض الجفن عن مثل قوله في نفس المقامات

واذا مطلبٌ كسا حلة العا ر فبُعداً لمن يروم نجازه
ومتى اهتزَّ للدناءة نكسٌ عافَ طبعي طباعه واهتزازه
فالمنـايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنى ركوب الجنازه

لا جرم ان الراجز احقُّ بالملامة وأَولى بالمعتبة . على اننا لو تدبرنا الامر رأَينا انهُ قد جرى على سنَّة العقلاء فامر بما يستطاع رجاء ان يُطاع — نقول ذلك عنهُ ونعلم انهُ لو بُعث فنوقش الحساب على قوله لما اجابنا بغير هذا الجواب ولا عمد الى سواه في دفع اللوم او العتاب . على اننا ندعهُ في حفرته آمناً مطمئناً ونقبل على ما كنا فيه فنقول ان التملق والمداهنة من ضروريات هذا الاجتماع الذي يخطىء من يقول انه قائم على اساس الحقيقة او دعامة الفضيلة اذ لو كان كذلك لما كان للناس من حاجة الى تينك الخلتين الذميمتين ورحم الله القائل :

ظهرَ الكذب في الورى والنفاقُ فلسوق النفاق فيهم نفاقُ

ولقد بحضرنا الشيءُ الكثير من اقوال المتقدمين التي تجول فيها روح التملق والمداهنة وزعموا انها في معنى المداراة والمسالمة فمن ذلك قول بعضهم

كنْ مع الناس كيف كانوا ووافقْ انَّ من لا يوافق الناس مائقْ

اي روح يرى القارئُ في هذا البيت وأَيُّ حكم يطلق عليهِ بل بأَي عين ينظر الى قولـــ الآخر

من يحمد الناسَ يحمدوه والناسُ من عابهم يُعابُ

أَليس في ذلك صورة من صور المداهنة المرذولة ؟ بل أَليس هذا القول مبدأُها المتين واساسها المكين . ومثله قول الشاعر

عظّم الناس تنل تعظيمهم واجتنب تحقيرهم فهو الردى

ما معنى هذا التعظيم المطلق والانذار المخيف . واي علاقة بين المداراة وهذا القول الملقى على عاهنه . كيف اعظّم من لا ارى التعظيم من حقه . واي نفع لي في ان يعظّمني من لا يعرف معنى العظمة الحقيقية التي لا تصدر الاَّ عن الفضيلة ولا تكون حقاً لغير الفضلاء . أَلم يكن يكفي القوم في الحضّ على المداراة ما قال قائلهم واصاب

اصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى

لا ندري ماهذا الخلط من الناس (وما اشبه المتقدمين بالمتأخرين) بين المداراة والمداهنة على شدة تنافيهما واختلاف امريهما . ومتى صحّ ان يكون الحزم والنفاق سيين . وحسن الرأي والغش اخوين . لا احسبني في حاجة الى ايراد ما قيل في النفاق والغش من اقوال الانبياء والحكماء ولا ما جاء في المداراة والمسالمة . وكفى ان اذكر عن الشطر الثاني قول النبي العربي صلى الله عليه وسلم « أُمرت بمداراة الناس كما امرت باداء الفرائض » . وقد رأيت العلاّمة الطرطوشي يقول في كتابه سراج الملوك (من دارى سلم ، ومن داهن ثم ،) وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون الى ان يقول « واعلم انه اذا سقمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة « ان توافق الناس على وجه يذهب فيه دينك » والمداراة « مخالفتهم على وجه يسلم معه دينك » ـ هكذا يقول هذا العلاّمة وهو قول من الصواب بمكان ويعجبني في المداراة والمصانعة قول احد الاعراب

اكاشح اقواماً على سرّ بغضةٍ ... واضحك في وجه العدوّ المكاشر
اريه كذا كم ما اريه واتقي ... به في غدٍ خوف الجدود العواثر
كلانا يرى ان ليس في الصدر ريبة ... على حنقٍ بين الشزا سيف واغر

وكيفما كان الفرق بين المداراة والمداهنة فان كلمة الحق مُرة في الاذواق ثقيلة على الاسماع وقد كان يقال : من قلّ صدقه قلّ صديقه . اما الان فقد انعكست الحال فاصبح الصدق مجلبة العداوة ومدرجة الجفاء والقطيعة . فمن لك في الناس بمن ان قلت له اخطأت عمد الى اصلاح خطأه شاكراً لك صنيعك ـ من لك بمن يرى الصديق والصداقة بعين ذلك القائل :

صاحب صديقك ما بدا لك نصحه ... فاذا ارابك غشه فتحوّلِ

من لك بمن يفهم ان النصيحة روح الصداقة وان الغش من حقه ان يكون داعية العداوة ولقد كنت في عهد حداثتي الوم العلامة الطويراني لقوله في رسائله (النسر الدهري)

واني ان اداهن او اداهي ... فتلك سجية البشر الوضيعِ
بها قامت مصالح كل حيٍّ ... فتمّ نظام عالمنا البديعِ

اما اليوم فلا لوم اذ وضح السبيل وبدا الدليل . وان من يريد انتزاع تلك النقائص من النفوس لكمن يقاوم الطبيعة ويدافع الاقدار واني لاسمع المعرّي يناديه من جانب حفرته ببعض ما يؤثر من حكمته

اردت تهذيب هذا الخلق من دنسٍ ... والله ما شاء للاقوام تهذيبا

الدلنجات احمد محرم

وهذه الرسالة الثانية

« اذا كان الغرض من اقتراح الجامعة معرفة هل يمكن ان يعيش الانسان من غير مداهنة وتزلف وتمليق فالجواب سهل . وهو نعم ان ذلك ممكن . وهذا امر لا ينكره احد . ولكن اذا كان الغرض معرفة هل يعيش الانسان في هذه الحياة « وينجح » فيها من غير تزلف ولا مداهنة وتمليق فقد صار الجواب عن ذلك صعباً

انني ارى ان فوق مبداء النجاح في الارض مبدأين اشرف واسمى . وهما مبدأ الادب المحض ومبدأ الاصلاح في الارض . وهذا المبدأ (الاصلاح) لو بني على التزلف والتمليق والمداهنة والمداراة لما رسخ في الارض شيء نافع ولما قدر الرسل والانبياء ان يصنعوا شيئاً . فالجنس البشري في الارض اذا كان يتقدم ويسير الى امام فانما يتقدم باصحاب المبادىء الذين يعملون بمبادئهم حرفاً ومعنىً دون ان يتساهلوا فيها . اما التمليق والمداهنة والمداراة والتزلف فهي مما يسهّل معاملات البشر ويجرّ لهم المنافع ولكنه لا يقدّم الافكار والعقول خطوة واحدة

وليس المراد بذلك ان يتصلّب كل صاحب مبداء في مبداءه ويحمل سيفاً ليدافع به عنه . فان هذا يدعى خشونة وقلة ادب لا فضيلة وادباً . وانما المقصود ان لا يتساهل صاحب المبداء في شيء من مبادئه ويبقى مع ذلك هادئاً راسخاً باشاً مسالماً لان المبادىء لا يليق بها غير الهدوء والرسوخ والبشاشة والمسالمة . وهذا هو التساهل الذي يشير به الحكماء لا التنازل عن المبداء او ستره او انكاره طلباً للفائدة

وبناء على ذلك يكون الحد الذي يمكن للانسان التساهل عنده ولا سيما في معترك الحياة ومزاحمتها هو جعل مصلحة غيره مقياساً لتساهله لا مصلحة نفسه . اي انه اذا وجب عليه ان يداري داري لا طلباً لنفعه الخاص بل فراراً من ان يسيء الى سواه . والبعد بين الامرين كالبعد بين الارض والسماء »

« مشترك »

اقتراحات للجزء القادم هذا ما نشرناه في اقتراحات هذا الجزء اما الاقتراحات التي تقبل الجامعة الرسائل فيها للجزء القادم فهي التالية « هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل . وكم هي المدة اللازمة لذلك . وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان التعليم على الطريقة الحاضرة . واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهم وجوه هذا الاصلاح » — ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الاهمية ليس في مصر فقط بل في جميع بلاد الشرق

السماء والارض والانسان

رأي جديد غريب لرفيق درون

من المشهور ان رجال الدين في اوربا وفي كل مكان قد قاوموا الاعتقاد بكروية الارض ودورانها مقاومة شديدة . ولم تكن تلك المقاومة منهم عن جهل او عن مقاومة للعلم بل عن خوف من ان يهدم هذا الاعتقاد شيئًا من معتقدات البسطاء ويجرّ الانسان الى التصاغر والسئآمة من الحياة . فقد كان من الشائع في الزمن القديم (دينيًا وفلكيًا) ان الارض هذه هي مركز الكائنات وان الكون كله قد خُلق من اجلها ومن اجل الانسان ساكنها . وهذا الانسان هو سيد المخلوقات وسلطانها لانه ارقاها كلها . واما الاعتقاد بكروية الارض ودورانها حول الشمس فانه يجعل هذا العالم بمثابة قبضة من التراب سابحة في الفضاء مع ملايين غيرها من قبضات اكبر منها والانسان يعيش عليها كالديدان على برثقالة في شجرة . وعلى ذلك لا يعود للخالق سبحانه وتعالى عناية خصوصية بهذا الانسان وبارضه اذ مثله ومثلها كثير في الفضاء الابدي . هذا فضلاً عن ان الحياة والعالم يصغران حينئذٍ في عيني الانسان العاقل ويرى كل شيءٍ كبير في هذه الارض صغيرًا حقيرًا بالنسبة الى عوالم الابدية التي يراها فوق راسه في قبة السماء كانها نقط صفراء في صحيفة زرقاء

وكما ان كتاب كوبرنيك الذي ظهر في عام ١٥٤٣ قد احدث انقلابًا عظيماً في علم الفلك لانه اثبت ان ارضنا هذه ليست مركزًا للعالم بل هي سيارة تدور حول الشمس كسائر السيارات فان المستر ارثر ولس العالم الطبيعي الانكليزي يرى اليوم رأيًا جديدًا سيحدث انقلابًا عظيماً في هذا الشأن اذا كان صحيحًا

مقام صاحب الرأي وقد نشر المستر ولس رأيه هذا في « فورنيتلي رفيو » وهي مجلة انكليزية من افضل المجلات وعنوان مقالته فيها « مرتبة الانسان من الكون » ولكن قبل ان نلخص رأيه يجب ان نذكر شيئًا عن هذا العالِم للدلالة على مقامه العلمي في قومه

كان المستر ولس رفيقًا لدرون العالم الطبيعي المشهور وهو واضع مبداء « تنازع البقاء » وسابق دروين الى مبداء « الارتقاء والتحوّل والاختيار الطبيعي » . ولذلك نادرة لا يخلو ذكرها من فائدة . فان درون صرف عشرين سنة وهو يبحث في هذا المبداء حتى اثبته

فلما اطلع السير دافيد ليل عليهِ حثه على نشره بين العلماء . فاخذ درون يشتغل بكتابه . ففي ١٨ يونيو من عام ١٨٥٨ بينما كان درون قد فرغ من نصف عمله ورده كراس من المستر ولس مقرون بكتاب منه يسأله فيه ان يطالع هذا الكراس واذا وافق على ما فيه فليدفعه الى السر دافيد ليل ليطبع وينشر . وكان درون لم يلتقِ بالمستر ولس الاَّ مرة واحدة . وكان عمر المستر ولس يومئذ ٣٥ سنة وعمر درون ٥٠ سنة . فطالع درون هذا الكراس فوجد ان مؤلفه قد اثبت فيه ذات المبداء الذي مرَّ عليه هو عشرون سنة وهو يبحث فيه . فالتقا حينئذ ونشرا مبداءهما في مقالة واحدة وقعا عليها معًا . وكان اكتشاف درون نتيجة بحث طويل وصبر شديد لانه لم يتوصل اليه الا بعد التنقيب والملاحظة عشرين سنة . وكان اكتشاف ولس نتيجة وحي عقلي وقد كتبه في ثلاث ليالٍ . وهذا خير مثال لنوعيْ العقل البشري في النوابغ ودليل لا ينقض على صحة توارد الخواطر . ولكن لا عجب في هذا التوارد لان كلاً من درون وولس قد انتبه الى هذا المبداء من مطالعته كتاب ملتوس الاقتصادي الانكليزي في الشعوب والقبائل

﴿ الرائي ﴾ هذا هو المستر ولس صاحب الرأي الجديد الذي نحن الآن في صدده . وهو اليوم شيخ جليل في نحو الثمانين من عمره . وبعد هذا الايضاح ننتقل الى رأيه

واذا كان رأيه السابق في التحوّل والارتقاء الحيواني قد صدم الكتب الدينية صدمة شديدة لانه يرجع اصل الانسان الى الحيوان فان رأيه الجديد يؤيد الكتب الدينية تأييدًا يسرُّ به اهل المذاهب والاديان . ذلك انه يقول اننا نحن الآن ساكنون على الارض في مركز الكون كله خلافًا لاعتقاد العلماء باننا ذرة طائرة في الفضاء مثل باقي الذرات . فمرتبتنا في الخليقة مرتبة مستثناة ممتازة وربما لم يكن في فضاء الابدية كله حالة كحالتنا . وفضلاً عن ذلك فانه يعتقد ان الغرض من وجود كل هذه العوالم والاجرام الواسعة هو ايجاد نفوس حية في ابدان البشر الفانية وترقية هذه النفوس

ولكن بماذا يؤيد المؤلف اعتقاده باننا في مركز الكون ؟

يؤيد اعتقاده بادلة فلكية واليك خلاصتها

يقول ان عدد النجوم التي تُكتشف قد اخذ بالتناقص مع ان النظارات المكبرة تزداد اتقانًا شيئًا فشيئًا . فهذا دليل على ان عدد النجوم الغير المنظورة اقل مما يظنه العلماء وان الفضاء السماوي المجهول يكاد يكون خاليًا . وزد على ذلك ان صور السماء النوتوغرافية ونواميس

النور وتجارب المستر نيوكومب فيها — كلها تدل على ان الشموس عددها محدود في الفضاء

وقد ثبت لدينا ان هذه النجوم ليست كلها ثوابت فان لاكثرها ان لم نقل كلها «حركة ذاتية» . وليس اقرب هذه النجوم الينا اشدها سطعاناًواشراقاً كما هو الشائع بل اقربها الينا تلك التي حركتها الذاتية اسرع من حركة غيرها في نظرنا

وهذه النجوم التي هي اقرب النجوم الينا ليست تجتمعة في جانب واحد في الفضاء على جوانب المجرّة (طريق التبانه عند العوام) او في جانب آخر بل هي منتشرة في جميع انحاء الفضاء السماوي . وهي منتشرة هذا الانتشار بشكل كروي اذ لو لم يكن شكلها كرويًا لما كان لانتشارها ما له من الانتظام . ومرتبة الارض من هذه النجوم القريبة منا هي في الوسط اي اننا نحن في وسط مجموعها الكروي

ثم ان المجرّة (طريق التبانة) تشرف على اكثرية النجوم في الفضاء لان هذه النجوم متجمعة على جوانبها . وقد اقام هرشل الدليل على ان هذه المجرّة هي عبارة عن دائرة في الفضاء بالنظر الينا . فنحن « يجب » ان نكون في وسط هذه الدائرة ولولا ذلك لما امكننا ان نرى انها دائرة . فنحن اذاً والنظام الشمسي في وسط مجموع النجوم القريبة منا . وهذا المجموع الكروي هو وايانا في وسط دائرة المجرة وحواليها النجوم المختلفة . وبناءً على ذلك نكون نحن في وسط الكون وما وراء تلك الحدود خلاء وفضاء لا شيء فيه

ثم ان مرتبة الارض من النظام الشمسي مرتبة ممتازة ايضاً وهي المرتبة المتوسطة التي يمكن وجود الحياة فيها . فعلى ذلك يكون الانسان غرض هذه الاكوان كلها ولا يكون للحياة اثر في غير هذه الارض

هذا هو رأي المستر ولس الجديد الذي اقام اهل العلم واقعدهم في هذين الشهرين . وهو رأي جميل لانه يعيد الى الانسان كبرياءه وعظمته البشرية وان كان يحرمه لذة الامل في ان يكون له في العوالم السماوية اخوان من بني الانسان ارقى من انسانية الارض وابعد منها عن الشرور والمصائب المختلفة